

الرواية العربية، سؤال الهوية ؟

The Arabic novel, the question of identity ?

الدكتور: عبد القادر سي أحمد^{*1}

جامعة حسيبة بن بوعلي - الشلف (الجزائر)

aeksiahmed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022 /05/13 - تاريخ القبول: 2022/06/19 - تاريخ النشر: 2022/06/30

ملخص:

تعد الرواية من أهم الأشكال السردية التي احتلت الصدارة في الدراسات الأدبية الحديثة، مما أهلها بأن تكون محل اهتمام الكتاب والنقاد والدارسين حتى أضحت اليوم من دون منازع، الفنّ الكتابي الأكثر شهرة وتلقيا وتداولًا وصار لها كون كتابي متفرد، وسوق رائجة، وإعلام كثيف، وجمهور واسع، فهي في العصر الحديث تمثل ملحمة برجوازية، لتمثلها واقع الفرد وعلاقاته بالمجتمع، والمحيط الذي يعيش فيه.

أما عند العرب، فقد أصبحت توصف بأنها ديوان العرب الجديد، كونها أكثر الفنون الأدبية قدرة على وصف وتصوير مشاهد المجتمع العربي بتحولاته المختلفة وصوره العديدة، وخلقها لعالم اجتماعي يتفاعل مع العالم المعاش، من خلال تصوير فني تخيلي إبداعي، أكسبها في كثير من الأحيان قيمة جمالية تتجاوز المظاهر العادية إلى آفاق إنسانية.

لكن اشكالياتها - الرواية العربية - هل هي نتاج ثقافة غربية؟ أم أن لها خصوصيتها العربية المرتبطة بتراثها القديم؟ وهو ما سنحاول الإجابة عنه خلال مسار هذا المقال العلمي.

^{*1} عبد القادر سي أحمد

الكلمات المفتاحية: الرواية - الرواية العربية - اللغة - النشأة - الحديث.

Abstract :

The novel is one of the most important narrative forms that have taken center stage in modern literary studies, which has made it interesting for writers, critics and scholars and has become undoubtedly , the most famous written art, received and disseminated, and it has a unique writing universe, a popular market, a dense media and a large audience, so it is in the modern era it represents a bourgeois epic, because it represents the reality of the individual and his relationship with society, and the environment in which he lives.

As for the Arabs, it has become the new Arabic Diwan, because it is the most literary art capable of describing and representing the scenes of Arab society with its various transformations and numerous images, and its creation of a world society that interacts with the lived world, through creative imaginative artistic representations, has often given it an aesthetic value that goes beyond ordinary appearances on human horizons.

But is his problem - the Arabic novel - the product of Western culture? Or does it have its own Arabic particularity associated with its ancient heritage? What we will try to answer in this scientific literary article.

Keywords: Roman- Arabic novel- Language- Origin- Modern.

1. المقدمة :

تعدّ الرواية أكثر الفنون الأدبية قدرة على وصف وتصوير مشاهد المجتمع العربي بتحولاته المختلفة وصوره العديدة، وخلقتها لعالم اجتماعي يتفاعل مع العالم المعاش، من خلال تصوير في تخيلي إبداعي، أكسبها في كثير من الأحيان قيمة جمالية تتجاوز المظاهر العادية إلى آفاق إنسانية. أما الرواية العربية: فهل هي نتاج ثقافة غربية ؟ أم أن لها خصوصيتها العربية المرتبطة بتراثها القديم ؟ وهو ما سنحاول الإجابة عنه خلال مسار هذا المقال العلمي.

2. تعريف الرواية:

حين نعود إلى القواميس العربية لتحديد مفهوم الرواية، نجد لها على التفكير في الأمور، وتدلّ على نقل الماء وأخذها، كما تدل على نقل الخبر واستظهاره، وورد في لسان العرب "روى الحديث والشعر يؤويه رواية وترواه، وفي حديث عائشة، رضي الله عنها، أنها قالت: ترووا شعر حجة بن

المُضَرَّب فإنه يُعَيَّن على البرّ، وقد رَوَّاني إياه، ورجل راوٍ؛ وقال الفرزدق: أما كان، في مَعْدَانٍ والفيل، شاغلٌ لِعَنْبَسَةِ الرَّاوي عليّ القصائد؟ وراويّةٌ كذلك إذا كثرت روايته، والهاء للمبالغة في صفته بالرواية. ويقال: رَوَّى فلان فلاناً شعراً إذا رواه له حتى حَفَظَه للرواية عنه. قال الجوهري: رَوَّيْتُ الحديث والشَّعر روايةً فأنا راوٍ، في الماء والشَّعر، من قوم رُواة. ورَوَّيْتُه الشَّعر تَرْوِيَةً أي حملته على روايته، وأَرْوَيْتُهُ أيضاً.

وتقول: أنشد القصيدة يا هذا، ولا تقل ازوها إلا أن تأمره بروايتها أي باستظهارها. وفي حديث قيلة: إذا رأيْتُ رجلاً ذا رِواء طمع بصري إليه؛ الرِّواء، بالضم والمد: المنظر الحسن. قال ابن الأثير: ذكره أبو موسى في الرء والواو، وقال: هو من الرِّيِّ والارتواء (منظور، صفحة 1784)، المدلولات المشتركة للرواية تفيد في مجموعها عملية الانتقال والجريان والارتواء المادي "الماء" أو الروحي "النصوص والأخبار" وكلا النوعين ذو أهمية في حياة العرب، فلقد كان هدفهم المنشود من أجله يحلون ويرتحلون، وكانت رواية الشعر ضرورة لازمة لكل شاعر كما كانت الرواية الوسيلة الأولى لحفظ الأشعار والأخبار والسير.

أما الرواية اصطلاحاً فلا يوجد تعريف جامع مانع لها كجنس أدبي، كونها "محلّ خلاف بين الدارسين وذلك لتباين النتائج المنسوب إليها، واختلاف كتابتها أيضاً (فقد مارسها أدباء وساسة ورجال دين ومغامرون...)، واختلاف زوايا نظر دارسيها: فثمة من اهتم بموضوعها، أو بشكلها أو بسمات خطابها أو بمرجعياتها الاجتماعية أو العقديّة" (الصادق، 2000م، صفحة 18)، فهي محل خلاف في تحديد ماهيتها، ومحل ممارسة ودراسة من قبل المبدعين والدارسين.

وعلى الرغم من وجود، هذا الاختلاف وهذا التباين، فإن "الرواية بمعناها الحديث تفترض مجتمعاً منظماً تنظيماً نثرياً تسعى ما أمكنها إلى حيويّة الأحداث وحركيّة الشّخوص ومصيرهم (...)، ومن الصراعات العادية (...)، ونشر العلاقات الاجتماعية وصدفة الظروف التاريخية" (الباردي، في نظرية الرواية، 1996، صفحة 18)، فهي "عالم شديد التعقيد متناهي التركيب متداخل الأصول، إنها جنس سردي منشور لأنها ابنة الملحمة والشعر الغنائي والأدب الشفوي ذي الطبيعة السردية جميعاً" (مرتاض، الصفحات 33-34)، فهي فن نثري سردي بامتياز.

فهي - الرواية - تقوم على "مفهوم أساسي يحدد جنسها، وهو مفهوم التشخيص شأنها شأن الملحمة، رسم عالم بأكمله ولوحة الحياة التي تبدو موادها العديدة وعمقها المتنوع في دائرة الفعل الخاص الذي يتوسطها" (الباردي، في نظرية الرواية، 1996، صفحة 163)، كما أنها "هي جنس أدبي راق ذات بنية تتلاحم فيما بينها وتتصافر لتشكيل لدى نهاية المطاف، شكلا أدبيا جميلا يعتري إلى هذا الجنس الحظي والأدب السري، فاللغة هي مادته الأولى، كمادة كل جنس أدبي آخر في حقيقة الأمر" (مرتاض، صفحة 37)، كون الرواية عرفت منذ بدايتها "تحولا في طبيعة اللغة قوامه الانتقال مما هو تقليدي قديم إلى ما هو ناشئ جديد" (الصادق، 2000م، صفحة 33)، لتحقيق بهذه اللغة ذاتيتها التي تميزها عن غيرها من الأجناس الأدبية.

وبالإضافة إلى اللغة، الخيال الذي هو بمثابة "الماء الكريم الذي يسقي هذه اللغة فتنمو وتربو، وتُمرع وتخصب (...)"، وقد احتفظت الرواية الجديدة بشيء واحد ومنحته أهمية بالغة وعناية كبيرة، وهو اللغة التي اتخذت منها المشكل الأول لكل عمل سردي" (مرتاض، الصفحات 37-38)، أي أن الرواية تطورت عبر مراحل وتعاملت مع العناصر المكونة لها مثل - الحيز - الزمان - الشخصية - بنوع من التطوير والتبديل، مع إعطاء العناية أكثر للغة، كونها ضرورة لازمة لإنجاز أي عمل سردي.

ولأهمية اللغة بمكان في الرواية، فإن التحليل الروائي "ينطلق من مبدأ أساسي يتعامل معها بوصفها نظاما لغويا في المقام الأول، تستمد منه خصوصيتها الأدبية وتكون به معالمها الجمالية من خلال ما تنتجه من أشكال وصيغ أدبية" (شعث، 2005م)، بواسطة هذه المادة اللغوية.

3 - ظهور الرواية العربية: إن ظهور الرواية قد تزامن مع ظروف أدت إلى "حدوث تطور في التفكير ووسائل التعبير أذكتها روافد حضارية محلية وأجنبية قوامها العلم وأداتها العقل وقانونها الحركة الدائبة" (الصادق، 2000م)، فهي حديثة العهد، أسهم عامل المتأقفة الغربية في تأسيسها، لأنها في رأي بعض الباحثين والدارسين "جنس أدبي دخيل على الثقافة العربية، امتلكه العرب، اقتباسا وترجمة وتأليفا على سبيل التأثر بالثقافة الوافدة شأنها في ذلك شأن الكثير من مظاهر حياتنا المعاصرة" (الباردي، في نظرية الرواية، 1996، صفحة 116)، تمثل كتابها النموذج الغربي مما جعلها "وليدة

السردية الأوروبية، (...) كما يراها يحي حقّي، هي النتاج الطبيعي للتأثر بالأدب الأوروبي عامة والقصة الفرنسية بصفة أخص، تلك هي الفكرة التي يروج لها كاتب "فجر القصة المصرية" (الباردي، في نظرية الرواية، 1996، الصفحات 109-111)، مفادها أن الرواية العربية، نتاج ثقافة غربية باعتبار "أن الثقافة الفرنسية قد أثّرت في نخضتنا تأثيرا قويا: فعلى صدمة حملة بونبارت كانت يقظتنا وصلتنا الموجعة بالغرب، وعلى المدارس الفرنسيّة عوّلت مصر (ثم أقطار عربية أخرى)، في نخضتنا أيام محمد علي (وبعده أيضا)" (الصادق، 2000م، صفحة 17)، لتكون بذلك الحملة الفرنسية على مصر، هي بمثابة بداية النهضة العربية، وإن كنا نرى أن الحادثة لا تأتي من فعل مخرب. كما يرى بعض الدارسين، أن الرواية ليس لها أصول أو وجود يربطها بجذور في التراث العربي القديم، إذ يؤكد بعضهم "على أهمية الرواية الأوروبية في تأسيس النص الروائي العربي، فتحدثوا عن هذا التأثير المباشر الذي يفقد الرواية العربية خصوصيتها ويخرجها من نسيجها الثقافي، ويقطع الصلة بينها وبين الأعمال السردية التراثية قطعاً نهائياً" (الباردي، في نظرية الرواية، 1996، صفحة 158)، كأننا بها، فرع من دون أصل

وهو ما يجعل الرواية العربية في نظرهم مقطوعة الصلة بالتراث العربي القديم كونها -الرواية- بلا تراث، وبالتالي فإن أي روائي عربي معاصر، يحاول الكتابة الروائية، لا يكون له مصدر أو نموذج من التراث يتمثله، وحجتهم في ذلك أن "أول من أقام قواعدها عندنا أفراد تأثروا بالأدب الأوروبي والأدب الفرنسي بصفة خاصة، مما جعل الأدب الفرنسي منبع القصة عندنا" (الباردي، في نظرية الرواية، 1996، صفحة 111)، بمعنى أن الأصل الغربي هو الذي تستقي منه الرواية العربية أسسها الفنية وخاصة الفرنسية منها.

وهو ما يحتّم على الروائي العربي المعاصر، أن يبحث عن طريقته في الكتابة، المقلدة للنموذج الغربي، فهو مجبر بحسب هذا الرأي، على أن تقليد هذا النموذج الغربي، باعتبار أن "فرنسا كانت وجهة البعثات العلمية العربية الأولى ومورد من رواد النهضة منذ الطهطاوي وهذا ما جعل الطابع الفرنسيّ واضحا في الأدب الحديث عموما، وفي الرواية العربية خصوصا" (الصادق، 2000م، صفحة 17)، ليكون بذلك أدبن أدب يحاكي الأدب الغربي عامة والفرنسي خاصة.

وهو ما يؤكد على أن "الرواية العربية، لم توجد قبل الاتصال بالحضارة الغربية الحديثة وأن فنّ الرواية العربية نشأ متأثراً بفنّ الرواية الأوروبية الحديثة وليس بالأجناس المحليّة" (الباردي، في نظرية الرواية، 1996، صفحة 115)، وهو ما يجعل الرواية العربية "طبقاً لهذا الرأي، في أرقى نماذجها وأشكالها، إنما تنحو منحى غريباً في نوع من المحاكاة المكشوفة لما كان يُستحدث في الرواية الغربية في القرنين التاسع عشر والعشرين" (إبراهيم، 2003، صفحة 05)، وهذا التأثير بالآخر- الغربي- إلى هذه الدرجة أمر مبالغ فيه إلى حد بعيد، كون أن "القصة عريقة عراقية بشرية ذاتها، ولا يتصور شعب بلا رصيد قصصي" (الصادق، 2000، صفحة 15)، باعتبار أن الحكيم يلف حياتنا جميعاً.

كما أن "التراث الذي وصل إلينا لا يزال يمدّ فينا، ولا نزال نحيا بواسطته شئنا أم أبينا، وعيناً ذلك أم لم نعه يحضر بأشكال متعددة في ذهنيّتنا وتخيّلنا وذاكرتنا. ويتجلى بصور مختلفة في تصرفاتنا وتعبيرنا وطرائق تفكيرنا ومهما حاولنا القطيعة معه، أو إعلان موته نظرياً أو شعورياً، تظلّ خُطاطاته وأناسقه وأنماطه العليا مترسّخة في الوجدان ومترّكة في المخيلة" (يقطين، 2006، الصفحات 225-226)، فالتراث متجذر فينا ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن ننسلخ من هذا التراث، لتحليله فينا بصور مختلفة شئنا أم أبينا.

وأن "انعدام الرواية - بمعناها الحديث- عندنا لا يعني خلوّ تراثنا من القصة، لأن ثقافتنا -شأن ثقافات سائر الأمم والمجموعات البشرية قديماً وحديثاً- قد عرفت ضرباً من القصة مختلفة وُضع بعضها، وأخذ بعضها الآخر عن الأمم التي اتصل بها العرب أيام قوتهم وانفتاحهم على وجه الخصوص" (الصادق، 2000، صفحة 06)، نتيجة اختلاط العرب بغيرهم من الأمم عبر الفتوحات الإسلامية.

ما جعل تراثنا يضم بين طياته "رصيد ضخّم منه ما نُقل عن الخاصة أو العامة ومنه ما صُنِع على ألسنة الطير والبهايم، ومنه ما تُخَيَّل عن الجنّ والشياطين والمردة وهذا الرصيد ذو مواضيع متباينة (كأيام العرب ووقائع الفتوحات وأخبار المجالس وأساطير الجن وقصص العشاق وأشكال متنوعة (كالخبز والمثل والنادرة والحكاية والمقامة)" (الصادق، 2000، صفحة 06)، هذه الأخيرة - المقامة- التي يرى بعض المنظرين أنها من "أعظم الأجناس الأدبية النثرية، في الأدب العربي شأنها

وأطولهم عمرا، وأقدره على القيام في وجه الدهر على مدى قريب من عشرة قرون" (مرتاض، صفحة 25)، فهي من بين الفنون التراثية التي تضرب بجذورها إلى القرون الأولى لظهور الإسلام.

فهي "فنّ عربيّ قديم، تاريخه إلى القرن الرابع الهجري، وقد اتخذ الأدباء العرب وسيلة لإظهار براعتهم ومقدرتهم اللغوية والبلاغية، ومن ثمّ تبوّأ فنُّ المقامة مكانة مهمة في الأدب العربي... فإذا به هذا الفنّ يصل إلى القمّة، وأصبح الطّلاب والأدباء في جميع الأقاليم والبلدان العربية يتدارسونه ويهتمون به" (عبد،، صفحة 09)، لما له من أهمية في عملية التعليم والتعلّم.

كما أنّها لم تبق على المستوى المحلي العربي، بل تجاوزت الحدود العربية لتصل إلى الآداب العالمية، حيث "عُرفت في الأوساط اليهودية والمسيحية الشرقية، فترجموها، وصاغوا على مثالها باللغتين: العبرية والسريانية" (عبد،، صفحة 11)، هذا من جهة أن بعض أشكال السرد، - المقامة - كانت متداولة عند العرب مع بداية الاسلام.

أما من ناحية أخرى فإن "خاصية الحكى متصلة بالإنسان منذ بدأ التعبير عنده عن مشاعره وحياته" (ياسين، 1414هـ/ 1994 م، صفحة 05)، هذا الرأي يرى، أن الأثر الروائي "يستند أساسا إلى التراث القصصي العربي... كما أنّها لم تنقطع عن مناخها الثقافي... كونها تستمد روايتها من استفادتها من بعض الأشكال التعبيرية في الثقافة العربية" (الباردي، في نظرية الرواية،، 1996، صفحة 167)، فهي لا يمكن أن تأتي من العدم، باعتبار أن المعرفة في أصلها تراكمات معرفية.

لذلك فإن الرواية، ومهما اختلف في مسائلتها، سواء من حيث التأصيل أو الدراسة، فهي "جنس أدبي كغيره من الأجناس الأدبية الأخرى من شعر ومسرح وخطابة... وأن لكل جنس من هذه الأجناس خصائصه التي تميزه... وأن له أيضا عوامل محددة أدت إلى ظهوره في حقبة تاريخية معينة" (ياسين، 1414هـ/ 1994 م، صفحة 5)، وهو ما يجعل الرواية العربية باعتبارها "نصا، شأنها في ذلك شأن أي نص كيفما كان جنسه أو نوعه، تتفاعل مع مختلف النصوص كيفما كانت طبيعتها، انطلاقا من تفاعلها مع واقعها. وحين نركز على تفاعل الرواية العربية من خلال بعض النماذج مع التراث، فذلك يكمن في خصوصية المسألة التراثية، في فكرنا الحديث والمعاصر" (يقطين،، 2006م، صفحة 10) حيث تتمثل هذه العلاقة في "علاقة الكاتب العربي بتراثه بناء

على التصوّر المنطلق منه في معالجة الرواية وصلتها بالتراث " (يقطين، 2006م، صفحة 10)، هذا التراث الذي ما زال في حاجة إلى إزالة الغبار عنه لاستخراج درره التي لا تنفذ.

والجدير بالذكر أن هذا لم يكن التفسير الوحيد أو الرأي الوحيد الذي يؤصل لأصول الرواية العربية، هذا الرأي يوجد ما يؤيده حينما يرى بعض الدارسين، أن "كثيرا من النصوص التي يرى فيها بعض النقاد صورة منقوصة للرواية الأوروبية، تستمد روائيتها من استفادتها من بعض الأشكال التعبيرية في الثقافة العربية، فلا يمكن مثلا أن نفهم كتاب "أديب" هذا النص السردي الأول الذي كتبه (طه حسين)، دون أن نعي أهمية تداخل الأجناس الأدبية وتقاطعها فيه، فهو الذي قال: "إنما الأثر الأدبي عندي هو الذي ينتجه الكاتب، لا أعرف له قواعد ولا حدودا إلا هذه القواعد والحدود التي يفرضها على الأديب مزاجه الخاص وهذه الظروف التي تحيط بمزاجه وفنه" (الباردي، في نظرية الرواية، 1996، صفحة 167)، فمرد هذا القول أنه لا يمكن القطع بأن أصول الرواية غربية، باعتبار أن انتاج النصوص وابداعها يكون خاضعا لمزاج المبدع والظروف التي تحيط بمزاج هذا المبدع، سواء أكانت تاريخية أم اجتماعية أم ثقافية أم أي ظرف كان

وهو ما يجعل الرواية العربية في نشأتها، ذات مميزات خاصة، كونها تأثرت بعوامل مركبة، مما أكسبها تلك الخصوصية، التي تنوعت بين التراث الرسمي، والتراث الشعبي بكل أشكاله، وبين أشكال الرواية الغربية، فهي من ناحية التأسيس غربية لخضوعها للتقنيات السردية الغربية، ومن ناحية التأصيل فهي عربية، لتأصل التراث القصصي - القصص الأخبار، والأسمار، والحكايات، والنوادر - فيها.

وبالإضافة إلى هذا، يرى بعض النقاد والدارسين، أن الرواية العربية، كانت نتاج الترجمة التي "لعبت دورا أساسيا في مستلزمات النهضة عموما، وفي اطلاع العرب على الرواية خصوصا" (الصديق، 2000م، صفحة 17)، فكان لها دور في ظهور الرواية العربية، وأن أول من قام بهذا العمل (الطهطاوي، عام 1867) " (إبراهيم، 2003م، صفحة 143) ، الذي يعتبر "أول من قام بترجمة الرواية في تاريخ الأدب العربي الحديث" (إبراهيم، 2003م، صفحة 124)، حيث "ترجم مغامرات تليماك لفنيلون (Fenelon)، ونشرها في بيروت تحت عنوان «مواقع الأفلاك في وقائع

تليماك»" (الصادق، 2000م، صفحة 81)، ثم تطورت الترجمة وازدهرت وكان لها الدور الريادي في نقل الأدب الغربي إلى اللغة العربية.

فتوالّت الترجمات، مترجم (نجيب الحداد)، "مسرحية السيد لبيار كورني (LLEPIEUREIE corn)، بعنوان غرام وانتقام، والفرسان الثلاثة لألكسندر دوماس (LLEXANDRE dumasa)، و(هرناني)، للكاتب فيكتور هيجو (VICTORhugo)، بعنوان "حمدان" و"روميو وجوليت" للكاتب شكسبير (SHAKESPEARE)، بعنوان "شهداء الغرام" وترجمة (محمد عثمان جلال)، قصة "بول وفرجينيا" لبرناردي سان بيير (BERNARD de saint pierre)، بعنوان "الأماني والمئة" (شريط، 1988م، صفحة 16)، حيث أن المترجمين العرب حينما عرّبوا "الفنون الروائية لم يهتموا بالإنتاج الأكثر جودة، وإنما اهتموا بكتاب أكثر شعبية وشهرة" (إبراهيم، 2003م، صفحة 138)، فكانت ترجماتهم عشوائية غير منتقاة، خاضعة لمقياس الشهرة، لا إلى مقياس الجودة.

وبالإضافة إلى الترجمة، فقد لعبت الصحافة دورا بارزا في نشاط العمل الأدبي حيث "قامت بدور كبير في نشر الفنون الأدبية بين مختلف البيئات الأدبية العربية منذ ظهورها في ربوع الشام، ومصر، وبقية الأقطار العربية الأخرى، ومن المجالات التي يدين لها الفن القصصي في تطوره وذيوعه «مجلة الجنان» بלבنا، وكذلك الصحف والدوريات المصرية التي ظهرت منذ أواخر القرن التاسع عشر، كهلال، والمقتطف، واللطائف والأهرام، والضياء، والمشرق، حيث خصصت هذه المنابر في أعدادها أبوابا ثابتة للقصة" (شريط، 1988م، الصفحات 16-17)، ولأهمية الصحافة بمكان في تطوير الأدب، ونشره، والتعريف به، كان لزاما "الحفاظ على هذه الوسيلة، والعمل على تطويرها وإنها مظهر من المظاهر المنعشة لحضارة الإنسان ورقية" (شريط، 1988م، صفحة 17)، فهي - الصحافة - أداة من أهم الأدوات التي كانت وما تزال "من أهم الوسائل المساعدة على انتشار فن القصة والتعريف بالعمل الأدبي وبصاحبه خارج بيئته، لذلك فإننا نحث على ضرورة الحفاظ على هذه الوسيلة" (شريط، 1988م، صفحة 17)، التي بواسطتها يمكن إيصال العمل الفني إلى أكثر عدد ممكن من الناس بمختلف مستوياتهم وانتماءاتهم وتوجهاتهم.

وبعد رواج القصص المترجمة بواسطة الصحافة، "تغيرت نظرة الأدباء إلى القصص وأقبلوا على هذا اللون من الأدب، وحسّنوا في أساليبه، ورفعوا من موضوعاته وأعلوا من شأنه، فأقرّت القصة بذلك — على علاقتها — فرعا في أدبنا وسعى كتّابها إلى تطويع اللغة التقليدية بما يلائم مستوى القراء فذلّلوا طائفة من أساليب الكتابة مهدت السبيل أمام كتّاب القصة في الفترات اللاحقة" (الصادق، 2000م، صفحة 6)، للتعبير عن تجربتهم بواسطة هذا النوع — القصة — الفني

وقد عدّ العديد من النقاد أن رواية "«زينب»" (لمحمد حسين هيكمل)، الرواية الأولى في الأدب العربي الحديث" (الباردي، في نظرية الرواية، 1996، صفحة 128)، فكانت بمثابة "فاتحة عهد جديد وإيدانا ببداية الرواية الفنية في أدبنا" (الصادق، 2000م، صفحة 9)، ما أهلها بأن تمثل نقلة نوعية في الرواية العربية الناشئة، وعدّها بعض الآخر الرواية الفنية التأسيسية، كونها محل إجماع على أنها محطة بارزة في تاريخ الرواية العربية الحديثة، حيث شكلت "حدا فاصلا بين أدبين: أدب ما قبل الحرب العالمية الأولى- المتّسم بطابع المحافظة وروح التقليد الموروثة- والآخر أدب ما بعد الحرب العالمية الثانية الذي يُعدّ ثورة تجديدية عارمة" (الصادق، 2000م، صفحة 9).

صدرت في طبعها الأولى رواية من دون روائي مصرّح به حيث أنها، "كانت بقلم مصري فلاح عام 1914م" (الباردي، في نظرية الرواية، 1996، صفحة 145) لتكون بذلك رواية «زينب» ولادة لأوّل رواية عربية مجهولة الأب، أي أن رواية زينب، هي الرواية التأسيسية للرواية العربية الحديثة في نظر النقاد والباحثين.

الختامة:

وفي نهاية هذه الدراسة نخلص إلى النتائج الآتية:

— أنّ الرواية العربية قد أسهم عامل الثقافة الغربية في تأسيسها، كونها جنس أدبي دخيل على الثقافة العربية، امتلكه العرب، اقتباسا وترجمة وتأليفا على سبيل التأثير بالثقافة الوافدة شأنها في ذلك شأن الكثير من مظاهر حياتنا المعاصرة

— أنّ الرواية العربية لها صلة بترائنا القديم، كون أنثرائنا يضم بين طياته رصيد ضخّم منه ما نُقل عن الخاصة أو العامة ومنه ما صُنّع على ألسنة الطير والبهائم، ومنه ما تُخَيّل عن الجنّ والشياطين

والمردة وهذا الرصيد ذو مواضيع متباينة كأيام العرب ووقائع الفتوحات وأخبار المجالس وأساطير الجن وقصص العشاق وأشكال متنوعة كالخبر والمثل والنادرة والحكاية والمقامة، فهي لا يمكن أن تأتي من العدم، باعتبار أن المعرفة في أصلها تراكمات معرفية.

- أنّ الرواية العربية في نشأتها، ذات مميزات خاصة، كونها تأثرت بعوامل مركبة، مما أكسبها تلك الخصوصية، التي تنوعت بين التراث الرسمي، والتراث الشعبي بكل أشكاله، وبين أشكال الرواية الغربية، فهي من ناحية التأسيس غربية لخضوعها للتقنيات السردية الغربية، ومن ناحية التأصيل فهي عربية، لتأصل التراث القصصي - القصص الأخبار، والأسمار، والحكايات، والنوادر - فيها.

- أنّ رواية " زينب لمحمد حسين هيكل الرواية الأولى في الأدب العربي الحديث، فكانت بمثابة فاتحة عهد جديد وإيدانا ببداية الرواية الفنية في أدبنا، ما أهلها بأن تمثل نقلة نوعية في الرواية العربية الناشئة، كما عدّت الرواية الفنية التأسيسية، كونها محل إجماع على أنها محطة بارزة في تاريخ الرواية العربية الحديثة.

قائمة المصادر والمراجع :

- أحمد جبر شعث. (2005م)، شعرية السرد في الرواية العربية المعاصرة، مكتبة القادسية للنشر والتوزيع.
- الفارابي عبد المطفف، شيكر أبو ياسين، (1414هـ / 1994 م)، العالم الروائي عند غسان كنفاني، من خلال، "رجال في الشمس"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب.
- سعيد يقطين، (2006م)، الرواية والتراث السرد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- شريط أحمد شريط، (1988م)، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، 1947 - 1985، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- عبد الله إبراهيم، (2003م)، السردية العربية الحديثة (تفكيك الخطاب الاستعماري وإعادة تفسير النشأة)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان.
- عبد المالك مرتاض، (بلا تاريخ)، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر.
- قسومة الصادق. (2000م)، الرواية مقوماتها ونشأتها في الأدب العربي الحديث، مركز النشر الجامعي، تونس.
- محمد الباردي (1996م)، في نظرية الرواية، سراس للنشر، تونس.
- محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين بن منظور، (بلا تاريخ)، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة.
- محمد عبده، (بلا تاريخ). مقامات الهمذاني، منشورات الشهاب، الجزائر.

